مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ISSN : 1112 -7163 E-ISSN: 2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

جماليات الأسلوب، في الرسائل الإخوانية – قراءة أسلوبية في الرسالة الأولى من كتاب الشعلة الزرقاء.

Aesthetics of style, in Brotherhood messages - a stylistic reading in the first message of the book The Blue Flame.

علوي جوهرة

1 – جامعة غرادية ، alouidja@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020-07-14 تاريخ القبول: 2020-11-22

الملخص –

تهتم هذه الورقة البحثية، بتجليات الجمالية الأسلوبية، في بعض رسائل جبران خليل جبران إلى مي زيادة، وقد تناولناها من حيث الخلفيات المرتبطة بهذه الرسائل، إضافة إلى الجوانب الأسلوبية المتعلقة بكتابة هذا النموذج الرسالي، وقد اتبعت الدراسة المنهج الأسلوبي الذي نجده الأنسب لمقاربة الموضوع، من هذه الزاوية المنهجية. سيما وأنه الأقرب لمقاربة المحاور الآتية: دلالة عنوان المدونة، وعلاقته بالرسالة المدروسة ، إضافة إلى المستويات الأسلوبية للرسالة.

الكلمات الدالة –

الجمالية، الأسلوب، الرسائل الإخوانية، جبران خليل جبران، الشعلة الزرقاء.

المؤلف المرسل: علوي جوهرة ، alouidja@gmail.com

Summary-

This Research Paper Is Concerned With Stylistic Aesthetic Manifestations In Some Of Gibran Khalil Gibran's Messages To Mai Ziada, And We Have Addressed Them In Terms Of Backgrounds Associated With These Messages, In Addition To The Stylistic Aspects Related To Writing This Messenger Model, And The Study Has Followed The Stylistic Approach That We Find Best Suited To Approaching The Topic, From This Methodological Angle. Especially Since It Is The Closest To The Following Axes Approach: The Significance Of The Title Of The Blog, And Its Relationship To The Studied Message, In Addition To The Stylistic Levels Of The Message.

Key Words-

Aesthetic, Brotherhood Letters, Gibran Khalil Gibran, The Blue Flame.

01 - مقدمة

تمثل رسائل جبران خليل جبران إلى مي زيادة، فضاء إنسانيا له خصوصياته، وأبعاده الفكرية والموضوعاتية، التي تبعث القراء على الغوص في أعماقها للكشف عن قيمها الفنية والجمالية، ناهيك عن استقراء السياقات الفكرية والاجتماعية، التي انبثقت عنها هذه الرسائل، باعتبار جبران موهبة ثقافية عابرة للكتابة الشعرية، والنثرية، والتأمل الفلسفي، والفن التشكيلي من خلال أعماله الفنية.

وإن هذا التنوع الإبداعي الجبراني، من أهم الأسباب التي دفعتني إلى تحرير هذه القراءة، ويضاف إلى هذا شغفي الكبير بكتابات جبران، منذ مراحل تمدرسي في الأطوار التعليمية، علاوة على كون رسائله موجهة إلى طرف أنثوي، يجعلنا نغوص في ثنايا هذه الرسائل، التي تمثل ممارسة نصية مكتنزة لزخم لغوي، وفكري، وعاطفي يستحق العناية البحثية. وإن ما يجعلنا نركز على رسائل جبران دون غيرها من أعماله النثرية، هو اهتمامنا الأكاديمي بفن الترسل، الذي اشتغل عليه في مضمار إعداد الأطروحة.

ومن أبرز الداوفع البحثية في هذا الموضوع، هو أهمية فن الترسل، الذي يحظى بقيمة فنية بارزة في مدونة الأدب العربي، ولعل ما يمنح هذه القراءة

أهمية إضافية، هو تناولها منجزا أدبيا ترسليا معاصرا، يعكس امتداد جذور هذا الفن في الزمن الحاصر. كما تظهر أهمية هذه الورقة في مقاربتها للوظيفة التواصلية التي تؤديها الرسالة، في مجال التواصل، فضلا على الدور الهام الذي تقوم به الرسالة على الصعيد الاجتماعي والأدبي والحضاري، فقد رأينا كيف كان للرسالة أثر واضح في حياة الناس بعد مجيء الإسلام، فكانت الرسالة جسرا لغويا فعالا، ربط المسلمين بالعالم الخارجي، متجاوزا بذلك حضور الشعر والخطابة، اللذين لم يكونا قادرين على أداء الدور الذي قامت به الرسالة في المجال التواصلي.

وإن مما يمنح الرسالة الأولى أفضلية الاختيار على بقية الرسائل، هو أنها من أطول النماذج الرسالية حجما، ويضاف إلى هذا استيعابها لقدر معتبر من القيم الجمالية والفنية لأسلوب جبران خليل جبران، ولعل أهم سبب في هذا الخصوص هو طبيعة الدراسة في حد ذاتها؛ إذ لايسمح حجم المقالة المحدد بعشرين صفحة على الأكثر، أن يستوعب تحليلا أسلوبيا لقدر كبير من الرسائل يتجاوز عشرين رسالة.

وانطلاقا مما سبق، سنحاول الإحاطة بجملة من الظواهر الأسلوبية التي من شأنها الاسهام في تشكيل بُعْدٍ جمالي فني لهذا العمل الأدبي، وذلك من خلال السعي إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية: فيمَ تتجلى الأبعاد الفنية والجمالية في رسائل جبران خليل جبران؟ وإلى أي مدى يمكن للتحليل الأسلوبي أن ينجح في مقاربة هذه النماذج مقاربة أسلوبية؟ وهل حققت الرسائل الجبرانية الوظيفية التواصلية التي يتميز بها فن الترسل؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليات، اقتضت طبيعة البحث، أن نستعين بالمنهج الأسلوبي، باعتباره الأنسب لقراءة الرسائل وفق آلياته الإجرائية، ولتطبيق هذه الآليات قمنا بانتهاج خطة بحثية مناسبة باعتبار مستويات التحليل الأسلوبي، وسنبينها على النحو الآتي:

لقد قسَّمْنا الورقة إلى ثلاثة محاور أساسية؛ حيث جاء المحور الأول موسوما بـ: التعريف بالرسائل الإخوانية، باعتبار المدونة منضوية تحت هذا الفضاء الفني الأدبي النثري، الذي يحمل عدة حقائق تحكي عن روابط الصداقة والأخوة

والإنسانية، ثم تلاه المحور الثاني الذي عنوناه بـ: تعريف عينة الموضوع، ويتعلق الأمر بكتاب الشعلة الزرقاء الذي تضمن رسائل جبران خليل جبران إلى مي زيادة، باعتبار هذا الكتاب وثيقة أدبية تاريخية، تعكس لنا جملة من العلاقات الإنسانية والاجتماعية والفكرية، باعثة لنا نظرة عن الجودة الأسلوبية التي ميزت كتابات هؤلاء الأدباء. وقد حمل المحور الثالث عنوان: المستويات الأسلوبية في النموذج الرسالي المدروس؛ على غرار المستوى التركيبي، والمستوى الدلالي، والمستوى البلاغي، وإن مما يمنحنا مشروعية اختيار هذه المستويات دون غيرها؛ هو ارتباطها الكبير بالجانب الجمالي وبالوظيفية التواصلية لفن الترسل.

ولا بد من التنويه، إلى قيامي بتقديم المستوى الدلالي على المستوى التركيبي؛ لأن الدلالي يتم الاشتغال فيه على المقاربة الدلالية للعنوان ، الذي يمثل بوابة علاماتية للولوج إلى أغوار النص، فضلا على موقعه الأيقوني، الذي يسترعي انتباه القارئ. بوصف العنوان أول عتبة نصية تقابله في المنجز النصي.

02 - العرض:

2 -1: تعريف فن الترسل

يُعَدُّ فن الترسل من أبرز وأهم فنون الأدب العربي القديم ،و قد كانت له محطات مضيئة و صفحات مشرقة في الحياة الأدبية و الفكرية و الاجتماعية ، حيث عرف تطورا وازدهارا كبيرين خلال العصرين الأموي والعباسي - في القرنين الثالث و الرابع الهجريين - إذ ذاع صيته، و انتشرت هيبته و صلت إلينا منه نماذج كثيرة .

وفي مقاربة مفهومية نجد بعض الدارسين يُعَرِّفه : "فن نثري جميل، يُظْهِر مقدرة الكاتب و موهبته الكتابية و روعة أساليبه المنمقة."(مجموعة من الباحثين ,دت,ص102)

والرسالة قطعة من النثر الفني، تطول أو تقصر تبعا لمشئية الكاتب و غرضه و أسلوبه ،و قد يتخللها الشعر إذا رأى لذلك سببا ،وقد يكون هذا الشعر من نظمه أو مما يُسْتَشْهَدُ من شعر غيره ،وتكون كتابتها بعبارة بيلغة ، وأسلوب حسن رشيق،و ألفاظ منتقاة ،و معان طريفة.

ولا يخفى على أي متتبع لتاريخ الأدب العربي، ذلك الدور البارز الذي أدته الرسالة، مع مجئ الإسلام، على الصعيد السياسي والديني الأدبي و الاجتماعي؛ فكانت الرسالة أداة فعالة في الاتصال بالعالم الخارجي، وهذا ما لم يكن الشعر و الخطابة قادرين على تحقيقه، و من هذا التاريخ نافس الكاتب المترسل الشاعر و الخطيب.

وتجدر الإشارة إلى أن تعدد أنواع الرسائل، مرتبط بتعدد المجالات المرتبطة بها، فتسمى الرسائل السياسية بالرسائل الرسمية، بينما تسمى الرسائل الاجتماعية بالرسائل الإخوانية، وهذه الأخيرة هي النوع الذي يتعلق بمجال الدراسة، ذلك أن رسائل جبران إلى مي زيادة تصنف ضمن نوع الرسائل الإخوانية، التي تم تعريفها – أي الرسائل الإخوانية - بما مؤداه:

هي تلك الرسائل التي تدور بين الإخوان و الأصدقاء و الخلصاء،ومنها أيضا الرسائل التي يرسلها الكاتب إلى من يريد أن يخطب مودته ،أو يلتمس منه أمرا من الأمور ، و هذا النوع ميدان فسيح للإبداع يتبارى فيه الكتاب و الأدباء ،ويتاح لأقلامهم و قرائحهم أن تنطلق على سجيتها ،و أن يُعَبِّر أصحابها عن عواطفهم الشخصية في لغة مصقولة منتقاه،و أساليب قوية موشاة.(عتيق عبد العزيز.دت.ص488).

كما توصف الرسائل الإخوانية بأنها" مخاطبة الغائب بلسان القلم ،وفائدتها أوسع من أن تُحْصَر من حيث أنها ترجمان الجَنَان، و نائب الغائب في قضاء أوطاره، و رباط الوداد مع تباعد البلاد. "(عتيق عبد العزيز.دت.ص454).

نفهم من هذا التعريف أن الرسائل الإخوانية تتجاوز الجانب الوجداني، العاطفي، إلى البعد الجمالي، الذي يحقق المتعة الفنية في الفعل القرائي للرسالة، إذ إن المرسل يقوم باستثمار ما يمكنه من أدوات وجمالية لغوية، من شأنها تحقيق المتعة الفنية. بمعنى آخر أن الكتابة الرسالية تحقق المتعة على مستوى المرسل والمرسل إليه، سواء كان المرسل إليه الذي هو المعني بالرسالة، أو بوصفه قارئا.

2 -2: تعريف عينة الدراسة:

سنقسم هذا المحور إلى قسمين؛ حيث نتناول في القسم الأول تعريف المؤلف، ثم ننتقل في القسم الثاني إلى تعريف المدونة المعنية بالدراسة.

أ - تعريف المؤلف:

هو جبران خليل جبران لبناني الجنسية، من مواليد سنة 1883م، صبيحة الثالث من كانون الثاني، في عائلة ميسورة الحال، وهو الابن البكر لعائلته والأخ الوحيد لأختيه مريانة وسلطانة، ولما بلغ خمس سنوات من عمره، بدأ يتلقي مبادئ العربية والفرنسية والسريالية، في مدرسة أليشاع، كما تمكن من التعرف على النهضة الإيطالية خلال تردده على مركز للرهبان الإيطاليين، ثم سافر مع والدته إلى أمريكا بعد دخول والده السجن، سنة 1864م، واستقروا في مدينة بوسطن، حيث تلقى أصول اللغة الإنجليزية، ثم مبادئ الفن التشكيلي من طرف فريد هولاند، ثم عاد بعد ذلك إلى بيروت ، والتحق بمدرسة الحكمة، لدراسة اللغتين العربية والفرنسية، ومكث هنالك ثلاثة أعوام، عاد بعدها إلى بوسطن سنة 1899م، وبدأ مزاولة الرسم والكتابة، وقد عاش في تلك الفترة مأساة مفجعة بسبب فقدانه لأفراد عائلته تباعا. سافر بعدها إلى باريس سنة 1908م، وأقام هناك سنتين بمدرسة الفنون الجميلة، ثم عاد إلى بوسطن سنة 1910م، وانتقل منها إلى نيويورك سنة 1911م، وظل سائرا في طريق الإبداع رغم ما ألم به من مرض، إلى أن وافته المنية في العشر من نيسان، عام 1931م. ثم نُقِلَ جثمانه إلى مدينة بَشَرِّي (مسقط رأسه) بلبنان. تاركا لنا رصيدا حافلا بالمنجزات الأدبية والفنية، نذكرها على النحو الآتي:

- أقام معرضا لرسومه الرمزية، عام 1902م، أين تعرف على أستاذته فيما بعد ماري هاسكل.

- كان له الفضل في تأسيس الرابطة القلمية، مع كوكبة من أدباء المهجر سنة 1920م، بهدف انتشال الأدب العربي من الخمول والتقليد، إلى حيث يصبح قوة فعالة في حياة الأمة.

- نشر كتابه الأجنحة المتكسرة سنة 1912م. ثم أصدر كتابه: دمعة وابتسامة، سنة 1914م، ثم كتاب الموكب سنة 1919م، وكتابيه: "العواصف" و "النبي" سنة 1923، فكتاب البدائع والطرائف، سنة 1933م.

وله إصدارات باللغة الإنجليزية، من قائمة: " المجنون" سنة 1918م، وكتاب" السابق" سنة 1920م. ثم "رمل وزبد" سنة 1926م، و"يسوع ابن الإنسان" سنة 1927م، و"آلهة الأرض" سنة 1931م، و"التائه" سنة 1932م، و"حديقة النبي" سنة 1933م.(جبران خليل جبران.دت.ص ص5 إلى11).

ب - تعريف المدونة:

حملت المدونة عنوان: الشعلة الزرقاء، وتقع في 96 صفحة، وقد صدرت النسخة التي بين أيدينا، ضمن منشورات الأنيس، في السداسي الأول من سنة 2018م، بالجزائر، وتضم هذه النسخة مجموعة من الرسائل الأدبية و الإخوانية التي بعثها جبران لمي زيادة، بين سنة 1914 - 1931م، وعدد هذه الرسائل سبعة و ثلاثين رسالة مؤرخة ، تعبر عن تلك العلاقة العاطفية و الإنسانية التي زادت في اتقاد شعلة الفكر و الإبداع في حياة هذين الكاتبين، و أسهمت في الارتقاء بالذوق الأدبي والفني، ومما لا يجب إغفاله أن هذا الكتاب، تم إصدراه في إطار الجهود الثقافية والأدبية، الرامية إلى تسجيل الاهتمام بالأقلام العربية الوازنة، حيث عبَّر الناشر عن ذلك في تصدير الكتاب، الذي جاء فيه: " ... أعلام القلم العربي قدموا خدمات عظيمة للمعرفة و الثقافة العربية،وأسسوا عملية تثاقف لا يمكن تجاهلها، و المرور عليها بعجالة، فما من جيل عاشر مقاعد الدراسة وما من شاب احتضن كتابا، إلا قرأ و تأثر بأحد تلك الأسماء، إن لم يكن كلها أو غالبيتها.

فمن حق الجيل القادم و كل جيل أن يستمتع بباكورة الإنتاج الثقافي العربي المعاصر ، حيث تسقط وتتلاشى حدود الوطنية ، ويتكرس سلطان المعرفة، و سطوة الفكر، و عنفوان الأدب."(جبران خليل جبران.دت. ص ص: 5 -11).

ويتواصل تعريفنا للمدونة من خلال وصفنا للعينة الرسالية المعنية بالدراسة، ويتعلق الأمر بالرسالة الأولى التي تقع في ثلاث صفحات، وهي مؤرخة في نيويورك، بتاريخ: 2 كانون الثاني دون تحديد لسنة توقيعها، ولكننا نتوقع

أنها كتبت بتاريخ 1917م؛ لأن جبران أشار في خضم حديثه عن انقطاع الرسائل بينهما مدة عامين، مع العلم أن بداية التراسل بينهما بدأ سنة 1914م.

ويتحدد مضمون الرسالة في حملها تصريحا من جبران إلي مي زيادة، حول الصراع النفسي الدائر يبنه و بين نفسه تارة، و بينه و بين قلبه تارة أخرى، كما نقل لها فيها أخبار صحته المتدهورة، ثم نجده يتساءل عن الأسباب الحقيقة التى أدت إلى انقطاعها عن مراسلته، ثم يسألها بعد ذلك عن أحوالها و صحتها، منتقلا إلى اعجابه و ميله للموسيقى الغربية؛ وعلى الخصوص: موسيقى السنفوني و السوناتا و الكنتاتا، التي تتناسب مع منازعه النفسية، وميولاته العاطفية، وأخلاقه المتسمة بالبساطة و الجمال الروحي، ثم يعود جبران للتعبير عن إعجابه بذكرى أبي الهول و ابتسامته فتستحوذ على قلبه شحنات من الحزن العذب، يماثله اعجابه بالدكتور اللبناني شميل. ليختم رسالته بطلبه من مي إرسال نسخة له من الكتاب، الذي وضعه خير الله افندي خير الله.

2 -3: المستويات الأسلوبية في الرسالة الأولى من كتاب الشعلة الزرقاء

أولا المستوى الدلالي:

01 - دلالة العنوان

يحظى العنوان بأهمية قرائية بالغة؛ بوصفه من العتبات الأولى التي ترشدنا إلى متن النص ، قراءة وتأملاً ومقارنة وتحليلاً. إذ تأتي القراءة وفق ما يتميز به هذا العنوان من وظائف بصرية وجمالية أو إغرائية ودلالية ؛ باعتباره العتبة الرئيسة التي تفرض على الدارس أن يتفحصها، ويستنطقها قبل الولوج إلى أعماق النص، فضلا على موقعه الأيقوني اللافت للاهتمام، وكذا لكونه أولى عتبات النص التي لا يجوز تخطيها ولا تجاهلها(محمد مفتاح ،1990م،ص72)، لأنه يفضي إلى عالم الحقيقة النصية، بفعل حمولته الدلالية، التي بإمكانها أن تحتوي النص، ناهيك عما يمارسه من إغراء على ذهن القارئ."فلاشيء كالعنوان يمدنا بزاد ثمين لتفكيك النص ودراسته".(جميل حمدواي.1997م.ص:101).

يتكون العنوان من مركب نعتي؛ يمثل المنعوت(الشعلة) مركبه الأول، ويمثل النعت(الزرقاء) مركبه الثاني، أما من الناحية النحوية ، فقد جاء عنوان

المدونة جملة اسمية، وقع فيها انزياح كمي (حذف)، وعلى هذا الأساس يكون التقدير النحوي:هذه الشعلة الزرقاء، ومن ثمة تعتبر هذه الجملة العنوانية؛ خبرا لمبتدأ محذوف، كما يمكن تقدير العنوان بجملة فعلية ندائية، على أساس حرف النداء نائب عن فعل هو: أدعو أو أنادي، حسبما يقدر أغلب النحاة، وإن هذا التخريج الأخير تؤيده صيغة النداء الورادة في مختلف فصول الكتاب، ومع ذلك فإن تقديره بالنداء، هو أبلغ من تقديره باسم الإشارة، باعتبار النداء أحد أوجه المخاطبة التي تقتضيها الوظيفة التواصلية للرسالة، ولا شك أن هذا مما يثبت عمق العلاقة القائمة بين العنوان، ومتن المدونة.

وتتضح بلاغة هذا العنوان، في المعاني الإيحائية التي تتضمنها كلمتاه؛ إذ تحيل كلمة الشعلة على تلك الدفقة الشعورية التي تبهج الروح، وتضيء ما يلم بها من مشاعر سيئة، مثلما تضيء الشعلة الظلام الدامس، وتكون لحاملها نبراسا يهتدي به في الظلمات، وكذلك كانت رسائل جبران إلى مي، حيث كانت تطوف به لحظات التراسل بين عوالم المتعة واحتواء التجربة الشعورية، التي أشرقت حبا أَكَنَّه جبران لمي، وترجمه عبر سطور متوهجة في رسائله

أما كلمة الزرقاء، فإنها تدل أولا على رومنسية جبران خليل جبران، الذي نراه يوظف اللون الأزرق، وهو من ألوان الطبيعة، التي توظفها المدرسة الرومنسية عنصرا أساسيا في الكتابة.

وبما أنه يستعير اللون الأزرق من الطبيعة؛ فإنه لا شك يستعيره من لون السماء، والبحر الذي يمثل فضاء طبيعيا كبيرا لانعكاس هذا اللون، وكأنما يريد القول أنه يجد في نفسه حبا عريضا كالسماء وعميقا كالبحر.

وإذا ما أعدنا تركيب المفردتين، لاستقراء العلاقة بينهما؛ فسنجد أن العلاقة منطقية إلى حد كبير، تؤكدها أهمية الطبيعية في عملية الكتابة الجبرانية، فالسماء الزرقاء التي تكتسي لون السواد ليلا، يصبح القمر مضيئا وهاجا، فيها، كما تتوهج الشعلة في الظلام، إذ يحيل الظلام هنا على عذابات جبران وآلامه التي عايشها بسبب الاغتراب والمرض، كما تحيل الشعلة على الإشراق الذي تبثه الرسائل في نفس جبران المتعبة. أو بتعبير آخر، إن الرسائل نور وبلسم، يخفف ما بجبران من آلام.

02 - دلالة عتبتي الاستهلال والختام

أ - عتبة الاستهلال:

لا تخفى أهمية هذا العنصر في فن الرسالة، فهو للرسالة كالمطلع للقصيدة، على أساسه يتم استقبال المرسَل إليه الرسالةَ رفضا أو قبولا، واستحسانا أو استهجانا؛ وفيه تكون عبارات البسملة والحمد، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وألفاظ التحية وذكر اسم المرسِل والمرسَل إليه، وألقابهما التشريفية والسياسية، إن كانت رسالة إدارية بين أجهزة الحكم؛ وعادة تكون نهاية هذا الجزء العبارة اللفظية "أمَّا بَعدُ"، المسماة فصلَ الخطاب، إيذانا بالانتقال إلى الغرض المقصود.

أما عتبة الاستهلال في رسالة جبران، فمفادها: "حضرة الأديبة الفاضلة."(جبران خليل جبران .2018 م. ص:3).

نلاحظ أن جبران، يؤكد إثبات الصفة الأدبية لمراسلته، بل إنه يثني عليها في توصيفه لها، فيلحقها بصفة "الفاضلة"، فهذا لا شك يبرز مدى احترام المرسل للمرسل إليه، كما أنه يعكس سمو الروح الجبرانية التي تحترم غيرها، إذ أن استعماله لكلمة "حضرة" تدل على إكباره لمي زيادة، ولاريب أنه ينزلها منزلة رفيعة في قلبه، قبل أن ينزلها إياها في مجال الثقافة والأدب.

كما يمكن للقارئ أن يفهم من هذه العبارة الاستهلالية اللطيفة، أن المرسل سيُضَمِّنُ رسالته عدة معانٍ لطيفة، لُطْفَ تلك العبارة الاستهلالية.

لكن الملاحظ على استهلال هذه الرسالة، أنه جاء بلغة بسيطة، ولم يكن مُنَمَّقاً كما هي عادة جبران في الكتابة الإبداعية، إذ عهدناه أديبا فخم العبارات، مما يدفع القارئ البسيط إلى العودة للمعجم لمحاولة فهم كثير من كلماته، وإن هذا التبسيط الاستهلالي ينسجم بشكل كبير مع طبيعة الرسالة كفن أدبي، يميل إلى البساطة اللغوية.

عتبة الختام:

وتسمى المَقطَع، ولها خطر لا يقل عن خطر الابتداء، فإذا كان تأثير الابتداء ينجم عن كونه أولَ ما يقع عليه بصرُ قارئ الرسالة، فيشده إلى متابعة القراءة أو العكس، فإن الخاتمة هي آخر ما يقرؤه منها؛ ومن هنا تأثيرها في

كونها آخر ما يبقى في ذهنه ونفسه من كل الرسالة، فيجب على المرسِل أن يتوخى إتقان ختم رسالته، ويتحرى اختيار الألفاظ والصيغ المعينة على تقرير مضمون الرسالة، ليس على سبيل التلخيص، ولكن على سبيل الإجمال والإيحاء، ومن الصيغ المتداولة، الدعاءُ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وعبارات التحية والسلام.

أما الجملة الختامية لهذه الرسالة، فجاءت كما يأتي:

" ها قد انتصف الليل، فليسعد الله مساءك، ويبقيك للمخلص.

جبران خليل جبران."(جبران خليل.2018م. ص:05).

تتضمن هذه الجملة الختامية، عدة مكاشفات على صغر حجمها؛ فقد أشار جبران إلى الزمن المتمثل في منتصف الليل، ولاشك أن ذلك يدل على ملاءمة هذه الحيز الزماني لمثل هذه الأمور، ذلك أن الليل أكثر الأوقات تناسبا مع البوح، وتبادل العواطف، وكأنه يريد أن يلفت انتباه مي إلى شدة تعلقه بها، فلولا ذلك التعلق لما سهر إلى منتصف الليل ليكتب لها رسالة، إذ لا يفعل ذلك إلا عاشق متيم. يزداد شوقا لمعشوقته ليلا، فيقضيه ساهرا، مكتويا بعذابات الشوق، وإننا إذ نقول ذلك، نستند إلى عبارة جبران نفسه، الذي ختم بها خاتمة رسالته، ومؤداها:" و"يبقيك للمخلص." ويقصد نفسه بهذه العبارة.

ولم يغفل جبران عن تبيان توجهه الأدبي، في هذا النص الختامي القصير، حيث وظّف كلمة الليل المستوحاة من الطبيعية، باعتبار الاستعانة بأوجه الطبيعة، خاصية بارزة من خصائص المدرسة الرومنسية التي يتكئ عليها أدب جبران.

وبالنسبة لتوقيع الرسالة الذي يُعَدُّ آخر عتبة دلالية فيها، فإنه يوضح لنا التزام جبران، بالخصائص الفنية للرسالة.

03 - دلالة الرمز

لقد تضمنت الرسالة عدة نماذج رمزية، وقد تنوعت بتنوع المعاني التي تطرق إليها جبران، ومن هذه الرموز نجد:

أ - الرمز الديني:

يتحدد الرمز الديني من خلال رأي كارليل في النبي محمد عليه السلام، إذ يشير إلى ظاهرة مهمة تتعلق بحوار الأديان، والثقافات، والتسامح الحضاري بين الشعوب والأمم، سيما وأن توماس كارليل أديب ومؤرخ إنجليزي، بعيد كل البعد عن ثقافة النبي محمد عليه السلام، ولكنه على الرغم من ذلك يقوم بتخصيص فصل كامل في كتابه" الأبطال" للتعبير عن إعجابه بالشخصية البطولية للنبي محمد عليه السلام.

ب - الرمز العقائدي الأسطوري:

لقد ذكر جبران رمزين عقائديين أسطوريين، وهما: "كالي" ربة الهند، و"ديانا" معبودة الإغريق. ولا يبدو تركيز جبران على الآلهة الأنثوية اعتباطيا، فقد" ارتبطت الآلهة قديما بالنموذج الأنثوي، وهذا الارتباط القديم منه أصل الرمز الأسطوري في أفروديه اليونانية، التي يحكى أنها وُجِدَت محارة طافية على الزبد، ومنه اشْتُقَّ اسمها أفروديت من أفرويست؛ بمعنى زبد الموج وهي عين القلب، فالشاعر يُشَبِّه المرأة ويُطْلِق عليها تشبيهات تقترب من المعنى الأسطوري، أو يكون هذا الرمز في بعض الأحيان ساترا صورته وراء الصورة الموحية بأصلها الديني."(خليفي حاج احمد.2018 م.ص:12).

ت - الرمز التاريخي:

يتحدد الرمز التاريخي، في استعماله اسم: أبي الهول، وإن استحضار التراث التاريخي في هذه الرسالة، يعكس عمق ثقافة وأصالة جبران، ذلك أن أبا الهول رمز تاريخي، يعكس في الحضارة المصرية، صورة العظمة والقوة، فلعل حب جبران لمي، يستمد من أبي الهول شيئا من العظمة والقوة، فهو عندما يطلب منها زيارة أبو الهول، كأنما يريد أن يقول لها: يجب أن يكون حبنا عظيما، كأبي الهول.

ث - الرمز الحضاري:

نجد هذا النوع الرمزي في شخص الدكتور شميل؛ فهو يرمز للنهضة الفكرية التي تحتاجها الدول العربية، لأن تأثيره في الناس ينافس تأثير رجال الدين في المشرق العربي.

ومن هذا المنطلق، نفهم أن جبران، يؤكد على ضرورة اضطلاع المثقف بدوره في تنوير المجتمع.

04 - الحقول الدلالية

"الحقل الدلالي هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها، وتوضع تحت لفظ عام يجمعها."(فايز الدايه. 1996م.ص:191)حيث ينتهي علم الدلالة إلى تصنيف الحقول الدلالية، باعتبار ما تتضمن من أدلة لغوية وهو لا يخرج عن جنسين من المدلولات : مدلولات محسوسة و مدلولات تجريدية .

في ذات الرسالة نيويورك 2 كانون الثاني ندرج حقلين دلالين واضحين :

أ - حقل الطبيعة:

الملاحظ ثراء معجم الرسالة الإفرادي و تنوعه؛ فجبران يجد من الطبيعة ملاذا كما يجد في حياة الجبال و الغاب ضالته، و كل ما تصبو إليه نفسه من بساطة و جمال يقول: "صرفت الصيف و الخريف متنقلا بين أعالي الجبال و شواطئ البحر ... إلى أعماق الوادي " ثم يسترسل عن تواجده بمصر:" عندما كنت أذهب مرتين في الأسبوع جالسا على الرمال الذهبية محدقا بالأهرام ..."(جبران خليل جبران.2018م. ص ص : 3 -4).

فقد وردت العديد من مظاهر الطبيعة في خطاب جبران لمي زيادة، يشكل الرمز و المكون المعبر عن أفكاره و مكنوناته، فنجده يقيم جسرا بين أفكاره و عواطفه، و أحلامه لشدة تأثر أصحاب هذا التيار بالمذهب الرومنسي.

ب - حقل الموسيقى:

في ذات الرسالة يقول جبران: "بكل أسف أقول أنني لا أحسن الضرب على آلة من آلات الطرب، و لكنني أحب الموسيقى محبتي الحياة، ولي ولع خاص بدرس قواعدها، ومبانيها و التعمق بتاريخ نشأتها و ارتقائها، فإن أبقتني الأيام سأكتب رسالة طويلة في الدوائر العربية و الفارسية ... غير أنني أفضل من البيان الموسيقى الأفرنجي، تلك المعروفة بالسنفوني و السوناتا و الكنتاكا على الأوبرا ..."(جبران خليل جبران .2018م.ص:04).

الملاحظ على حقل الموسيقى، شدة حب جبران وولعه بمبانيها و قواعدها، و ذلك يتلائم و يتانسب مع ميولاته و اخلاقه ، فالموسيقى تمثل له ذكراه بمي؛

عبر الضرب على نغم النهوند، فشكلت هذه الحلقة الخيط الرفيع الواصل بينه و بين مي .

ثانيا: المستوى الصوتي:

يعد الصوت طاقة تعبيرية تفصح عن عمل اللغة؛ باعتباره اللبنة الأساسية لها، كما عرفها ابن جنى وهي "أداة زمنية ،لأنها لا تعدو أن تكون مجموعة من الأصوات المقطعة إلى مقاطع، تمثل تتابعا زمنيا لحركات و سكنات في نظام اصطلح الناس أن يجعلوا له دلالات بذاتها. "(رمضان الصباغ.1998م.ص169).

تواتر في رسالة نيويورك 2 كانون الثاني حرف السين بكثرة فالسين" صوت لثوي اسناني ،احتكاكي مهموس."(عاطف فضل محمد.2001 م.ص:127) ولقد ورد حرف السين في هذه الرسالة أربع و خميسين مرة 54، و تواتره في النص يوحي بالحالة النفسية و المكبوتات المتراصة بداخله ومثال ذلك قوله:"...قد أجبت على كل رسالة تكرمت بها عليا و استرسلت متعمقا بمعاني كل لفظة تعطفت بهمسها في أذني..."(جبران خليل جبران .2018 م .ص:03).

ويقول في موقف آخر: "... و اصرف الساعات الطوال جالسا على الرمال الذهبية..."(جبران خليل جبران.2018م.ص:05) فدلالة حرف السين ساهمت في تأدية المعني الطبيعي، فهو يدل على الأنس و الحنين و الإستعطاف .

ثالثا: المستوى التركيبي:

01 - الجملة الفعلية و الجملة الاسمية:

تنوعت رسالة جبران في نيويورك 2كانون الثاني، بين الأفعال الماضية، و الأفعال المضارعة، و أفعال الأمر.

استخدم جبران الأفعال الماضية، التى دلت على الأحداث التى وقعت في الماضي، و أبرز هذه الجمل الفعلية في قوله:"فكرت، مرت، صرحت ، دعتك، استرسلت، صرفت." استدعى بها جبران صورة الفقدان، و شهور الغياب التى انقطعت فيها الخطابات و الجوابات، عن مراسلة مي، و الحنين إلى تلك العاطفة الفكرية، و الروحية التى تجمعهما .

أما عن الجملة الفعلية في الزمن المضارع، فهي أكثر الجمل استعمالا، مقارنة بالجمل الماضية و جمل الأمر، و قد نَوَّع فيها بين جمل مثبتة و أخرى

منفية، و من أمثلة ذلك: "بكل أسف أقول أنني لا أحسن الطرب على آلة من آلات الطرب، و لكنني أحب الموسيقى محبتي الحياة، و لي ولع خاص بدرس قواعدها ومبانيها، و التعمق في تاريخ نشأتها و ارتقائها ،فإن أبقتني الأيام، سأكتب رسالة طويلة في الدوائر العربية و الفارسية، و كيفية ظهورها، و تدرجها و تناسخها."(جبران خليل جبران.2018م.ص:04)

ما يلاحظ من خلال هذا المقطع، أن جبران استخدم أربعة عشر فعلا في الزمن المضارع، و يظهر من خلاله شوقه لمي زيادة عبر الموسيقى الإفرنجية، التى تتمتع بالبساطة الفنية، تلك البساطة التى تعكس أخلاقه و ميولاته و منازعه الذاتية، وذلك باستعماله الوسائل الفنية، فنغم النهوند على الأوتار هو نغم روحي خال من التعقيد، و الضبابية نفسه طابع العلاقة التى يتميز بها جبران و مي تتمتع بالبساطة و الشفافية .

نجد أن لجمل الأمر نصيبا قليلا، من خلال الرسالة و يتجلى ذلك في قوله: "اسمحي لي تكرمي "

ويُلاحظ أن جبران يستعمل الأمر طالبا راجيا لا أمرا، فجبران يمر بحالة استعطاف و استحسان مي، لأنها تعيد للماضي ذكرياته، و تجود عليه بالاطلاع على نسخة الكتاب الفرنساوي الذي وصله عبر صديق له، لأن في الكتاب فصل عنه، و آخر عن مي.

02 - الجملة الاسمية:

الجملة الاسمية كما ذكرها "الزوبعي " في علم المعاني أنها: تفيد بأصل وضعها ثبوت شئ لشئ ليس غير، و قد تخرج الجملة الاسمية عن هذا الأصل، فتفيد الدوام و الاستمرار بحسب الفرائن و دلالة السياق."(عثمان مقيرش.دت.ص:109).

و أما عن الجمل الاسمية في رسالة جبران فقد قلت مقارنة بنظيرتها الفعلية و نذكر من هذه الرسالة: "أما أنا فصحتي أشبه بحديث السكران، و قد صَرَفْتُ الصيف و الخريف متنقلا بين أعالي الجبال، و شواطئ البحر، ثم عدت إلى نيويورك أصفر الوجه، نحيل الجسم لمتابعة الأعمال و مصارعة الأحلام –تلك

الأحلام الغريبة التي تصعد بي إلى قمة الجبل ثم تهبط بي إلى أعماق الوادي."(جبران خليل جبران.2018م.ص:03)

جاءت الجمل الإسمية في هذا الصدد لتصور الحالة النفسية و الشعورية و الوجدانية التى تراكمت طيلة فترة الانقطاع –و أما عن جملة الأوصاف – فهي تجسيد مادي لمعاناة جبران في صراع بينه و بين أعماله ،و بينه و بين أحلامه، فجبران يعيش حياة مد و جزر؛ بين الماضي الذي يربطه بذكرياته مع مي، و الحاضر الذي يعيشه، و المستقبل الذي هو لا يعلمه عنه إلا ما تمليه عليه قوانين الحياة .

رابعا: المستوى البلاغي

01 - الانزياح (المجاز - الصور البيانية)

أ - الاستعارة (الانزياح العمودي):

تعد الاستعارة شكلا من أشكال الانزياح، الذي يعمل على كسر عنصر التوقع لدى المتلقى و مباغتته بالخروج عما هو مألوف عنده في استعمال اللغة، و الاستعارة بنوعيها ؛ انزياح يعمد من خلاله المبدع إلى كسر النمطية في استعمال اللغة، و اظهار ملكته الفنية و اللغوية في العمل الأدبي.

رسالة نيويورك 2 كانون الثاني يقول جبران: " قد فكرت بأمور كثيرة في تلك الشهور الخرساء، التى مرت دون خطاب و لا جواب ..." (جبران خليل جبران.2018م.ص:03)

استعارة مكنية حيث شبه الشهور بـ "امرأة "، فحذف المشبه به، و أبقى على لازمة من لوازمه تدل عليه، و هي صفة خرساء على وزن فعلاء، على سبيل الاستعارة المكنية، و الدلالة منها الصمت الذي وسم تلك الشهور، طيلة فترة الغياب و الانقطاع بينه و بين مي .

و هنا نفهم أن جبران كان في حالة دهشة، و حيرة و تفكير مستمر و طويل، دام لشهور و في عقله ألف سؤال لا يجد له جوابا، لما يحمله من أفكار و فلسفة، إذ كانت مي زيادة العنصر الملهم له .

ب - التشبيه:

"تقوم شعرية التشبيه في أنه ينقل المتلقي من شئ إلى شئ يشبهه ،وكلما كان هذا الانتقال بعيدا عن البال قليل الخطورة بالخيال كان التشبيه أروع للنفس و أدي إلى إعجابها و اهتزازها."(رابح بوحوش .2006م.ص:153).

استرسل جبران في ذات الرسالة ليؤكد شعوريفي تلك الشهور الخرساء يقول:"فأنا شرير كالروح السوداء التى تحرس أبواب الجحيم - بل أنا شرير كالأشباح الساكنه في كهوف الجحيم؟"(جبران خليل جبران.2018م.ص:03)

فذكر أركان التشبيه: المشبه : جبران الشرير - المشبه به: الروح السوداء – أداة التشبيه : الكاف - المشبه: جبران الشرير – المشبه به : الأشباح الساكنة – الأداة: الكاف - وجه الشبه : الشر .

ذكر جبران الصور التشبيهية؛ و المقصود منها ابراز الحالة الشعورية و النفسية، التى كانت تعتري روح جبران في هذه الشهور، فالروح السوداء و الأشباح الساكنة جمعان ليسا متناقضين أسهمت كل صورة كلية متجانسة "فالمبدع لا يقدم المحسوسات، رغبة في استحضار صورها و هيأتها، و إنما يقدمها لإرتباطها بمعنى نفسي خاص به"

ت - الكناية (الانزياح التركيبي):

عرفها ابن الاثير بقوله:" كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة، و المجاز، بوصف جامع بين الحقيقة و المجاز."(مصطفى ناصف.1995م.ص:28).

في ذات الرسالة يسترسل جبران سائلا مي :"هل خلعت ذراعا ثانية في الصيف الماضي أم منعتك والدتك من ركوب الخيل، فعدت إلى مصر صحيحة الذراعين ؟" (جبران خليل جبران.2018م.ص:03)

فجمالية الصورة باتت واضحة المعالم، فدلالة الخلع تشير إلى فصل الصيف، و حرارته الشديدة في لبنان، والإبقاء على ذراع واحدة، من شأنه أن يمنح الجسد راحة أكثر، فعمد جبران إلى ترك التصريح بالمعنى، و التعبير عنه بما هو مرادف له إيماء، و في ذلك لفت انتباه، و تنشيط لذهن المتلقي من خلال الكشف عن المستور.

03 - خاتمة

- عكست لنا هذه الرسالة جانبا مهما في حياة جبران خليل جبران، وأضاءت عدة جوانب نفسية وأدبية.

- لغة جبران راقية وموحية، تنم على براعة وتمكن من ناصية اللغة، وقد تمكن من تطويع اللغة إلى احتواء التجربة الشعورية، من خلال رسم الصور، وشحن المفردات، بدلالات عميقة، شكلت جملة من الحقول الدلالية التي فرضت نفسها على جسد النص، ولعل هذا مما استهوى الأدبية مي زيادة، التي ازدادت تعلقا بجبران من خلال لغته الفخمة.

- يلاحظ على جبران اهتمامه البارز بجماليات الكتابة الرسالية، ونذكر من ذلك عنايته بعتبة الاستهلال، فضلا على تحقيق الانسجام في الانتقال بين موضوعات الرسال، إضافة إلى اهتمامه بالجانب الفني الذي انعكست من خلاله ملامح المذهب الرومنسي، ويتجلى ذلك في توظيف أوجه الطبيعة، والإكثار من الانزياحات الشعرية، ناهيك عن توظيف آلية الرمز.

- نلاحظ أن التحليل الأسلوبي، يستجيب بكل مرونة كمنهج نسقي، لمقاربة النصوص الأدبية، من خلال ممارسته لفعل القراءة الواعية، على الوقائع اللغوية القابعة في الخطاب الأدبي.

- يجب القول أن هذه القراءة الأسلوبية المتواضعة لا تعكس كل الجوانب الأسلوبية والفنية والجمالية التي تنضوي تحتها هذه الرسالة الأنيقة، وإنما يمكن استخلاص قيم أخرى ضمن قراءات أخرى.

04 - قائمة المراجع:

1 -مجموعة من العلماء و الباحثين.دت.الموسوعة العربية حرف الراء، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع ،ط2،ج11،ص:202.

2 -عبد العزيزعتيق ،دت ،الأدب العربي في الأندلس ،دار النهضة العربية ، بيروت، ص: 448.

3 -عبد العزيز عتيق ،دت ،الأدب العربي في الأندلس ،دار النهضة العربية ، بيروت، ص: 448.

4 - المرجع نفسه،ص:454.

5 -ينظر:جبران خليل جبران،دت، الأرواح المتمردة إصدارات الحرية،دط،ص:5 -6 -7 - 8 -9 -10 -11.

6 -جبران خليل جبران،2018 الشعلة الزرقاء ، منشورات الأنيس دالي ابراهيم الجزائر ، ط1،ص:96.

7 -محمد مفتاح،1990م،دينامية النص تنظير و انجاز،المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان،ط2،ص:72.

8 -جميل حمداوي،1997م،السيميوطيقاو العنونة مجلة عالم الفكر،وزارة الثقافة ، الكويت ، مج 25، ع2،ص:101.

9 -جبران خليل جبران،2018م، الشعلة الزرقاء ،ص :03.

10 - المصدر نفسه، ص:5.

11 - خليفي الحاج احمد ،2018 م ،الرمز الأسطوري في شعر مفدي زكرياء - دراسة نقدية مقاربة - مجلة الفضاء المغاربي،مخبر الدراسات الادبية و النقدية و اعلمها في المغرب العربي ،قسم اللغة الغربية ، كلية الآداب و اللغات،جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان - الجزائر،مج 2 ، ع 3،ص:12.

12 – فايز الداية ،1996م،علم الدلالة العربي ،دار الفكر المعاصر بيروت لبنان،ط2،ص:191

13 - جبران خليل جبران،2018م،الشعلة الزرقاء،ص ص :3 -4

14 -المصدر نفسه ،ص ص:04.

15 -رمضان الصّباغ،1998م،في نقد الشعر العربي المعاصر -دراسة جمالية - دار الوفاء للطباعة و النشر ، الإسكندرية – مصر ،ص:169.

16 - عاطف فضل محمد ،2001م،الأصوات اللغوية ،دارالمسيرة ،عمان - الأردن،ط01،ص:127.

17 -جبران خليل جبران، 2018م،الشعلة الزرقاء ،ص:03.

18 - المصدر نفسه، ص:05.

19 - المصدر نفسه، ص:04.

20 -عثمان مقيرش،دت،الخطاب الشعري في ديوان قالت وردة ،المؤسسة الصحفية ،المسيلة ،ط01،ص:109.

21 - جبران خليل جبران،2018م، الشعلة الزرقاء،ص:03.

22 - المصدر نفسه، ص:03.

23 - رابح بوحوش،2006م،اللسانيات و تطبيقاتها على الخطاب الشعري،دار العلوم عنابة ،ص:153.

24 - جبران خليل جبران ،2018م، الشعلة الزراقاء،ص:03.

25 - مصطفى ناصف، 1995م، الصورة الأدبية ،دار مصر للطباعة ، القاهرة ط01،ص:28.

26 - جبران خليل جبران ،2018م،الشعلة الزرقاء،ص:03.

- المراجع:

- الكتب:

1 -جبران خليل جبران ،،2018م،الشعلة الزرقاء، منشورات الأنيس دالي ابراهيم الجزائر ، ط1.

2 -جبران خليل جبران،دت، الأرواح المتمردة إصدارات الحرية،دط.

3 -رابح بوحوش،2006م،اللسانيات و تطبيقاتها على الخطاب الشعري،دار العلوم عنابة.

4 -رمضان الصّباغ،1998م،في نقد الشعر العربي المعاصر -دراسة جمالية - دار الوفاء للطباعة و النشر ، الإسكندرية – مصر.

5 -عاطف فضل محمد ،2001م،الأصوات اللغوية ،دارالمسيرة ،عمان - الأردن،ط01.

6 -عبد العزيز عتيق ،دت ،الأدب العربي في الأندلس ،دار النهضة العربية بيروت،دط.

7 -عثمان مقيرش،دت،الخطاب الشعري في ديوان قالت وردة ،المؤسسة الصحفية ،المسيلة ،ط01.

8 -فايز الداية ،1996م،علم الدلالة العربي ،دار الفكر المعاصر بيروت لبنان،ط2.

9 -مجموعة من العلماء و الباحثين،دت.الموسوعة العربية حرف الراء، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع، ط2، ج11.

10 - محمد مفتاح،1990م،دينامية النص تنظير و انجاز،المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان،ط2.

11 - مصطفى ناصف، 1995م، الصورة الأدبية ،دار مصر للطباعة ، القاهرة ط01،ص:28.

مقال في مجلة:

1 -جميل حمداوي،1997م،السيميوطيقاو العنونة مجلة عالم الفكر،وزارة الثقافة ، الكويت ، مج 25، ع2.

2 -خليفي الحاج احمد ،2018 م ،الرمز الأسطوري في شعر مفدي زكرياء - دراسة نقدية مقاربة - مجلة الفضاء المغاربي،مخبر الدراسات الادبية و النقدية و اعلمها في المغرب العربي ،قسم اللغة الغربية ، كلية الآداب و اللغات،جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان - الجزائر،مج 2 ، ع 3